المقاومة الاسلامية ومنظمة التحرير الفلسطينية)، أو اقليمي (بين الداخل والخارج، أو بين الضفة والقطاع). لقد كانت هذه المحاولات مكشوفة تماماً وتدعو الى السخرية. وقد دلّت، بين دلالات أخرى، على ان سلطات الاحتلال الاسرائيلية لم تع التغيّرات العميقة في بنية المجتمع الفلسطيني خلال السنوات الطويلة من مسيرة نضاله، بحيث انها أرادت ترويج بضائع قديمة تماماً، يعود بعضها الى سنوات الثلاثينات.

٩ ـ مفهوم الجهاد يتضمّن اللجوء للعنف

ومضمون هذه الحجة ان الدور الذي يلعبه مفهوم الجهاد في التفكير الاسلامي الجمعي يحول دون نجاح الكفاح المدني اللاعنيف؛ ذلك ان كل المسلمين، الذين يشكلون غالبية الفلسطينيين، يقرّون بشرعية الجهاد ضد الاعتداء على القيم ونمط الحياة الاسلامية. ومع تزايد التطرف اليهودي، والاعتداء على المقدّسات الاسلامية، وتصاعد عمليات اغتصاب الاراضي، يزداد المسلمون الفلسطينيون ايماناً بأن الاحتلال الاسرائيلي يمثّل تهديداً لحياتهم ووجودهم، ويتعلقون بالجهاد العنيف كملجأ أخير لمواجهة هذا التهديد. وهنا يغدو من الصعب اقناع الأغلبية الساحقة من الفلسطينيين بجدوى المقاومة المدنية.

ومن الواضح ان هذه الحجة تنطلق من محورية الثقافة الاسلامية في اطار الحياة الفلسطينية؛ وهو أمر صحيح، وطبيعي، يؤكد انتماء الشعب الفلسطيني الى دائرته الحضارية، وهي دائرة الحضارة العربية الاسلامية الممتدة في الزمان والمكان. ومع ذلك، فان هذه الحجة ربما تنطلق من فهم ضيق لمفهوم الجهاد في الاسلام. مفهوم الجهاد الاسلامي أوسع بكثير من مجرّد المقاومة بالعنف. وليس هنا موضع الاستطراد في مضمون هذا المفهوم، ولكن يمكن القول بايجاز ان مختلف أشكال المقاومة المدنية تدخل، دون شك، في حوزة الجهاد. ان التعاون، والعمل الجماعي، وانشاء المؤسسات الوطنية، والحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية، والدفاع عن المقدّسات، ولو من خلال سلاسل الحواجز البشرية، والتنادي للتجمهر من حول هذه المقدسات للحؤول دون اقتحامها من قبل المهووسين الصهيونيين، ومقاطعة بضائع العدو، وعدم الخدمة في مؤسساته، والتعريف باجراءاته التعسفية، والصبر على المكاره والضغوط التي يفرضها، وعدم الاستسلام له، والترابط الاسري، والتكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع كافة في الاحياء والقرى والمدن؛ كل هذه الانماط التي سلكتها الانتفاضة، لا يمكن الّا ان يدخلها المنطق تحت مفهوم الجهاد. وليس ثمّة ما يحول دون العنف، اذا ما تمّ ذلك ـ كما سبقت الاشارة ـ في اطار تخطيط محكم وتدبّر حكيم، يأخذ في الاعتبار الثوابت والمتغيّرات كافة التي تعتمل على ساحة الصراع في فلسطين، ومن حولها.

خاتمة

تعتمد المقاومة المدنية، في مضمونها الاساسي، على قدرات الانسان الفطرية، كحب البقاء والحرية والعمل في اطار الجماعة الوطنية، أو القومية، ومواجهة خطر الفناء بالامكانات المطروحة والمتوفّرة. ومن أهمّ مقوّماتها، التي يمكن ملاحظاتها بشكل مباشر، القدرات التنظيمية للمجتمع المدني. ولا شك في ان قرار الانتفاضة قد أخذ في اعتباره ان المقاومة المدنية معركة حقيقية، شأنها شأن المعارك كافة. وأغلب الظن، ان هذا القرار قد سبقه اعداد اتضحت أبعاده بمرور الوقت، وبخاصة من خلال استمرارية الانتفاضة، على الرغم من العنف الذي أوقعه المحتلون بكل سكان الارض المحتلة. ان فكرة المقاومة المدنية، كما يتضح من مفهومها، لا يمكن ان تكون وليدة وقتها، او لحظتها، وانما تختمر